سياسة بريطانيا تجاه افغانستان
في ضوء معاهدة عام 1905

د. نضر علي امين الشريف
الجامعة المستنصرية – كلية التربية الاساسية

المقدمة :

شهد تاريخ افغانستان في القرن التاسع عشر ومطلع القرن التالي تنافساً استعمارياً بين القوى الكبرى انذاك ؛بريطانيا وروسيا وبعض القوى المحلية كايران يمثل جزءاً من صراعها الكبير على المستعمرات , ومناطق النفوذ.

ولأن افغانستان تتمتع بموقع جغرافي واستراتيجي مهم فقد احتلت مكانة بارزة في المخطط الدفاعي البريطاني الذي كان يهدف الى تكوين حاجز متماسك من المناطق القريبة من الهند , درة التاج البريطاني , يصعب على روسيا وغيرها اختراقه . من هنا تتبعت هذه الدراسة سير العلاقات البريطانية مع افغانستان , ومحاولات بريطانيا المحافظة على الحاجز الافغاني بضمان تفوقها على بقية المنافسين لها . ومن اجل ذلك دخلت في معترك الاحداث الداخلية الافغانية خلال عقود القرن التاسع عشر , وتنوع هذا التدخل بين العمل العسكري والعمل الدبلوماسي للسعي من اجل ضم افغانستان الى صفها في صراعها مع روسيا التي شكلت سياستها التوسعية في شمال افغانستان تحدياً خطيراً للمصالح البريطانية , مستغلة ظروف افغانستان الصعبة لمد نفوذها اليها لتكون على مقربة من الممتلكات البريطانية في الهند , وتشجيعها للحكام الايرانيين على احتلال الامارات الافغانية .

ان مما شجعني على الخوض في هذا الموضوع عثوري على النص الاصلي الكامل للمعاهدة البريطانية – الافغانية المحفوظة في خزانات الارشيف الوطني التركي وضمن ملفات وزارة الخارجية العثمانية في دائرة الوثائق العثمانية باسطنبول . وكانت وزارة الخارجية البريطانية قد طبعت المعاهدة في احدى مطابع لندن عام 1905 , أي في سنة عقد المعاهدة , وزودت وزارة الخارجية العثمانية بنسخة منها.

واقتضت طبيعة تطور الاحداث السياسية الافغانية في فترة بحثنا , وضرورة دراسة مقتضيات لخلفيتها التاريخية ان ندرس احوال افغانستان السياسية في الحقبة التي سبقت عقد معاهدة عام 1905 وذلك في الفصل الاول من هذا البحث , وجاء الاسهاب بعض

الشيء في هذا الفصل من ادراك لأهمية المرحلة , ولكونها تؤلف الخلفية للتطورات السياسية التي شهدتها افغانستان في القرن التاسع عشر وخاصة في مجال السياسة الخارجية , ومدخلاً لفهم واقعي لطبيعة الظروف التي ولدت الظروف الموضوعية لعقد المعاهدة وختاماً اتمنى التوفيق لكل من ساهم في اغناء البحث

الفصل الاول

تمهيد:

تعد افغانستان احدى جمهوريات اسيا الوسطى الاسلامية فهي تقع بين خطي طول 60, 50 ^{5} و50 , 74 ^{5} شرقاً ودائرتي عرض 30 , 59 ^{5} و30 , 38 ^{5} شمالاً , أي ضمن المنطقة المعتدلة الشمالية . ومساحتها 497 و 647 كم^2. ونظراً لاتساع مساحة افغانستان التي تقرب من مساحة فرنسا وبلجيكا وهولندا والدنمارك مجتمعة فأنها اطلت على حدود دول عديدة مجاورة وهي جمهوريات طاجيكستان واوزبكتان وتركمانستان (التابعة للاتحاد السوفيتي سابقاً) من الشمال , وايران من الغرب , وباكستان من الشرق والجنوب , ومع الصين من الجهة الشمالية الشرقية [1] .

جذب هذا الواقع انظار القوى الكبرى , قديما وحديثاً , في وقت مبكر نسبياً . فتوسط افغانستان بين الهند والصين واقطار اسيا الوسطى وايران جعلها هدفاً ستراتيجيا مهما لتلك القوى فضلاً عن كونها ممراً ربط شعوب وحضارات وامبراطوريات متنامية ومتصارعة ترك عليها اثاراً حملت طابعاً ايجابياً احياناً , وسلبياً احيانا اخرى [2] .

ومما ميزهذا الجزء من اسيا طبيعة ارضه الذي يغلب عليه الطابع الجبلي والهضبي بشكل عام . فهناك سلسلة جبال هندكوش التي تتصل بسلسلة جبال سليمان عند عقدة بامير في شرق افغانستان , وتتخلل هذه المنطقة اودية وممرات وعرة عديدة منها ممر باميان وممر خيبر وممر التيمور وممر جكدلك وممر خلوك وغيرها . وتكاد تتركز السهول في بعض الاقسام الغربية والشمالية و الجنوبية من البلاد منها سهل اوكسوس على مقربة من طاشفورغان , وسهل هلمند .

وتجري في افغانستان عدد من الانهار ابرزها نهر هلمند وخاشرود ولوغر وامودارياً [3] . اما الاسم القديم لافغانستان فهو ((آريانا)) (Arian) وتعني (ارض الاريين) . وعرفت عند الاغريق بأسم ((باكسيميا)) و ((أركواي)) . واطلق عليها الفرس في تاريخ قديم اسم ((باروتا)) .ويسميها الهنود ((باملكا)) . وكلمة ((اريانا))

تعني في ((آريا)) أي ((المختار)) او النبيل . وقد اطلق هذا الاسم عندما هاجر الجنس الاري من مركز اقامته ومسقط رأس افراده في ((باكتريا)) او ((باختار)) التي تعرف اليوم بأسم ((بلخ)) وهي مدينة تقع في شمال افغانستان في ولاية ((مزار)) قرب الضفة الجنوبية لنهر ((اوكسوس)) [4] . ومن هذه المنطقة هاجر قسم من الجنس الاري شرقاً واستوطن الهند . وتوجه القسم الاخر غرباً عن طريق بلاد فارس واستقر في اجزاء من غرب اسيا واوربا [5] .

ويعتقد , المؤرخ الاغريقي ((هيرودوتس)) ان كلمة ((الاري)) لاتشير الى سكان منطقة واحدة فيذكر ان الفرس ايضاً يطلقون على انفسهم كلمة ((آرتي)) "Artagi" ويعد ((سترابو)) اول من قدم وصفاً لبلاد الاريين , واقسامها القديمة , ورجع بأسمائها الى ما اطلق عليها في العصور المختلفة ومنه عرفنا ان ((حيرات)) كانت تسمى اصلاً ((الاسكندرية)) , وانها عاصمة ولاية ((آريا)) [6] .

وتشير المصادر الهندية الى ان اول من اشار الى كلمة ((الافغان)) هو الفلكي الهندي ((فارها ميهزا)) في كتابة ((برهات _ سمهتيا)) الذي الفه في اوائل القرن السادس الميلادي . وقد عبر عنها بكلمة ((افاجانا)) [7] .

عانت افغانستان منذ تاريخها القديم من اطماع القوى والامبراطوريات الكبرى التي حاولت اخضاعها , واقتطاع اجزاء من من اراضيها والمقاطعات التابعة لها , والقضاء على استقلالها بل وحتى ابعادها عن البحر لكي تتمكن من بسط سيطرتها والوصول الى شرق اسيا وجنوبها . فالاسكندر المقدوني الذي امتدت فتوحاته حتى اواسط اسيا لم يحرز النصر في البنجاب ثم في بلوجستان الا بعد ان اخترق جبال هندوكش القائمة على الحدود بين افغانستان والهند .

اما ظهير الدين بابر مؤسس امبراطورية المغول في الهند عام 933 م فأنه لم يتمكن من تأسيس تلك الامبراطورية الا بعد استيلائه على كابل عاصمة افغانستان [8] .

وقد اجتمع المؤرخون على ان الفتح الاسلامي لبلاد الافغان بدأ عام 23 هـ (645م) فبعد وقت قصير من فتح هرات تقدم المسلمون عام 44 هـ (664م) نحو كابل ومنها توجهوا الى ملتان . ومما هو جدير بالذكر ان النصرانية قد دخلت سمر قند ومرو قبل ذلك بقرنين او ثلاثة وبرغم ذلك فأن مسيحيا واحداً لم يصل الى بلاد الافغان [9] .

انعكست اثار ضعف الدولة العباسية على الاقاليم التابعة لها . ففي الوقت الذي شهد القرن العاشر الميلادي انتشار الاسلام في ارجاء افغانستان , شهد هذا القرن ايضاً

بداية ضعف سلطة الخليفة العباسي وقيام حكم الاسر المحلية سواء كانت ايرانية او تركية في بلاد فارس وبلاد ماوراء النهر . فقد ضمت الدولة الطاهرية (820 – 872م) التي اسسها طاهر بن الحسين في خراسان في عهد الخليفة المأمون العباسي بلخ وهرات حتى عام 872م عندما تمكن يعقوب بن الليث الصفاري الذي حارب الطاهريين واستولى على هرات ونيسابور في ايام الخليفة المعتمد العباسي , واحتل غزنة وكابل في العام التالي .وقد حكم الصفاريون المنطقة جنوب الهندكوش حتى نهاية القرن التاسع الميلادي عندما حل محلهم السامانيون في حكم خراسان [10] .

يعد ((ألب تكين)) احد ابرز الولاة من قبل السامانيين الذي وضع اساس الدولة الافغانية الاسلامية الاولى المستقلة في غزنة [11] . وبعد قيام الدولة الغزنوية (962 – 1186 م) على يد سبكتكين (977 –992م) اصبحت غزنة عاصمة الدولة العظمى التي اشتهرت بأسم الغزنويين خلال قرنين من الزمن . واسفرت حملات الغزنويين على الهند واستقرارهم في لاهور بداية تشكيل حكومة اسلامية قوية في الهند [12] .

وفي عهد محمود الغرنوي الذي هو اول من تلقب بلقب سلطان ومن اشهر امراء الدولة الغزنوية بدأ المؤرخون الايرانيون يستعملون كلمة ((افغان)) . وعند وفاته كانت امبراطوريته تمتد من كردستان الى كشمير ومن آموداربا الى نهر الجانح . وكان يقيم في غزنة في عهده مايزيد ن 400 من الشعراء المشهورين ومنهم الانصاري والبيروني والفردوسي . ويعرف عصر الغزنويين في افغانستان بعصر العلم والثقافة , فقد نافست غزنة بغداد , واصبحت ملتقى العلماء والمفكرين والادباء .

لم يكن خلفاء محمود الغزنوي يتسمون بالمقدرة والكفاءة اللازمة لادارة امبراطورية مترامية الاطراف لذا بدأ سلطتهم بالاضمحلال بتأثير الاتراك السلاجقة , وقبائل الغوريين . فقد سقطت خراسان وشمال افغانستان في ايدي قبائل السلاجقة , كما استولى علاء الدين الغوري على غزنة عام 1153 م. وزالة الدولة الغزنوية على يد شهاب الدين الغوري عام 1186 م [13]. تعرضت افغانستان لسيطرة امبراطورية خوارزم بعد وفاة محمد الغوري . فقد احتل علاء الدين محمد شاه خوارزم افغانستان . وكانت دولة خوارزم شاه قد وصلت الى قمة مجدها بأ متدادها من تركستان الصينية شرقاً الى حدود العراق غرباً . وبعد ظهور جنكيز خان تعرضت افغانستان الى غزو المغول . ففي عهد جلال الدين منكبرتي , الذي خلف اباه علاء الدين , احتل جنكيز خان باميان وكانت موقعاً ستراتيجياً هاماً , وتقدم منها الى غزنة , والحق الهزيمة بقوات جلال الدين عام

1221م . ورغم مقاومة الافغان فقد تمكن جنكيز خان من احتلال هرات وبلخ وقندهار وغيرها من المدن الافغانية . وبعد موته عام 1227م انقسمت امبراطورية المغول الى دويلات مستقلة , فقد تمكنت احدى القبائل التاجيكية من خوارزم والتي تسمى ((كارت)) بالاستقلال بحكم افغانستان لمدة قرنين من الزمن تقريباً . وظل الحال على ذلك حتى استولى تيمور على البلاد وانهى حكم المغول , وبسط سيطرته على هرات وكابل وقندهار, وجعل حاضرته هرات التي اصبحت في عهد ابنه الرابع ((شاه رخ ميرزا)) مركزاً هاماً للحضارة الاسلامية , والفنون المختلفة وعلى الاخص العمارة , فقد كان محباً للعلوم والفنون مشجعاً لرجالها [14] .

وضع محمد خان الشيباني زعيم قبائل الشيبانيين نهاية مؤقتة لامبراطورية التيموريين في مطلع القرن السادس عشر . ففي عام 1507م احتل الشيبانيون هرات . وكانت قبائل المغول والاتراك والاوزبك تفد بأعداد كبيرة على افغانستان من اواسط اسيا. وبعد ظهور احد احفاد تيمورنك وهو ظهير الدين محمد بابر تجددت امبراطورية المغول, فقد تمكن هذا القائد من الاستيلاء على بلخ بعد حرب قاسية مع قبيلة ((الغلزائي)) البشتونية ثم استولى على كابل واتخذها قاعدة لعملياته في الشرق والجنوب .

وبأستيلائه على دلهي عام 1526م , دشن بابر أقامة امبراطورية المغول في الهند التي استمرت تحكم الهند حتى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي [15] .

دخلت افغانستان طيلة القرنين السادس والسابع عشر في خضم صراع بين حكام المغول في الهند والصفويون في بلاد فارس . فقد حرص اباطرة المغول على الاحتفاظ بكابل وقندهار في حين كانت انظار الصفويون تتطلع هرات وقندهار , فقد تناوبا على احتلالها لحقبة من الزمن [16].

اسهم الصراع السياسي بين اباطرة المغول والفرس على افغانستان في بروز القوى الوطنية . ففي هذه الحقبة بدأت قبائل (البشتون) تزداد قوة وعدداً , فيما اخذت قبائل ((الابدالي)) و((الغلزائي)) تترك معاقلها في المرتفعات الجبلية وتنتشر في الاراضي السهلية الخصبة في قندهار وزامنداور وفي وديان ارغنداب وترنك .

وبرز من زعماء قبيلة ((الغلزائي)) مير ويس الذي تمكن من السيطرة على قندهار عام 1706م وبعد انتصاره على قوات الحاكم الفارسي فيها . وقد حفز ذلك قبائل الابداليين للاستيلاء على هرات عام 1716. وفي عهد مير محمود الذي خلف اباه مير ويس توسع حكم الغلزائيين ليشمل جنوب ووسط ايران بما في ذلك اصفهان وذلك بعد

انتصاره على القوات الفارسية [17] , وتنازل الشاه حسين الصفوي عن العرش الايراني وبذلك يمكن القول ان الحكم الوطني في افغانستان قد بدا في مطلع القرن الثامن عشر .

أثار احتلال مير محمود لايران عام 1725م , والقسوة التي سلكتها القوات الافغانية في حكم البلاد المحتلة غضب السكان وثورتهم فيما ازدادت المنازعات بين الامراء الافغان . وانتهز الروس والعثمانيون الفرصة للتدخل في ايران , واغتنام بعض مناطقها , فهاجم الروس البلاد من الشمال كما هاجمها العثمانيون من الغرب فيما اندلعت الثورات في العديد من المدن الفارسية واندفع الافغان لاخمادها . [18]

لقد كان لتوسع الغلزائيين سبباً في فقدهم لملكهم في افغانستان وايران .فعلى اثرظهور((نادرقلي))[19] ، على مسرح الاحداث في ايران , بدأ حكم الغلزائيين بالانحسار عن الاقاليم الايرانية . فقد استطاع نادر ان يحتل مشهد وهرات واصفهان وشيراز ويطارد جيش الزعيم الافغاني اشرف خان [20] الذي لقى حتفه اثناء انسحابه في الصحراء الممتدة بين شيراز وسيستان على يد رجال البلوج [21] .

ولم تلبث ان استعادت افغانستان استقلالها بقيام حكم وطني فيها بعد انحلال امبراطورية نادر شاه على اثر مصرعه في 20 حزيران 1747 , وانتشار الفوضى في ارجاء ايران . فقد تمكن احمد خان الدوراني , احد قادة نادر شاه , الذي كان يتولى قيادة قوات الافغان والاوزبك من الاستيلاء على الجانب الشرقي من امبراطورية نادر من هرات حتى نهر السند , فيما ظلت مملكة خراسان القديمة مقسمة بين افغانستان وفارس . وجعل قندهار عاصمة ملكة وسماها ((احمد شاهي)) وهو الاسم الذي ضربه هو وخلفاؤه على نقودهم [22] .

استطاع احمد شاه ان يكسب تأييد جميع الافغان , ويجمع طوائفهم بأتباعه سياسة اللين والتسامح والامتناع عن فرض الضرائب على افراد القبائل المختلفة الذين اطلقو عليه لقب ((بابا)) واصبح يعرف بأسم ((احمد شاه بابا))

أي ((ابو الوطن)). وبعد وفاته عام 1773 خلفه ابنه تيمور شاه الذي لم يلبث ان نقل عاصمته الى كابل , وانشغل في فترة حكمه باخماد الثورات التي قامت ضده [23] واسهمت في اضمحلال قوة المملكة , وضعف السلطة المركزية .. وازداد الامر سوءاً بعد وفاته عام 1793 اذ عمت الفوضى في البلاد بسبب الصراع الذي نشب بين ابنائه[24]. فقد عارض همايون (الابن الاكبر لتيمور شاه) , وكان حاكماً لقندهار ومحمود مرزا حاكم هرات أ خاهم زمان شاه الذي تمكن من الاستيلاء على العرش , والحاق الهزيمة

بهما . ولكن لم يلبث ان قام محمود ميرزا بالاستعانة بحاكم ايران فتح على شاه وتمكن من الحاق الهزيمة بأ خيه زمان شاه ثم قبض عليه وسجنه في قلعة بكابل عام 1801 . وبهذا ال العرش الى محمود شاه (1801-1803) , ولكن سرعان مادار الصراع ثانية بين شاه شجاع واخيه زمان شاه اسفر عن استيلاء الاول على العرش والقاء القبض على محمود شاه وسجنه [25] .

واجه شاه شجاع (1803 -1809) مهمات صعبة في سعيه لتثبيت حكمه في افعانستان . فقد كانت البلاد ممزقة بسبب المنازعات القبلية , وكثرة المتنافسين على العرش , وضعف السلطة المركزية فضلاً عن تهديد السيخ في الشرق والفرس في الغرب فقد احتل السيخ كامل مقاطعة البنجاب واخذوا يهددون افغانستان في حين بدأت التطورات والاحداث السياسية التي شهدتها الساحة الاوربية في مطلع القرن التاسع عشر تلقي بظلالها على مناطق الشرق ومنها افغانستان . فخلال هذه الفترة ظهر عنصر جديد تمثل بمحاولة نابليون مد حروب القارة الاوربية الى اسيا بالتعاون مع القيصر الروسي الاسكندر الاول بهدف القضاء على امبراطورية بريطانيا في الهند .

<u>البدايات الاولى للتوجه البريطاني نحو افغانستان :</u>

بدأت بريطانيا توجه انظارها نحو افغانستان منذ القرن السابع عشر عندما بدا التجار البريطانيون يتوافدون الى البلاد من الموانئ التي كانت لها على المحيط الهندي في بلوجستان وخلال القرن الثامن عشر استطاعت شركة الهند الشرقية الانكليزية ان توطد اقدامها في مقاطعات عديدة من الهند. وما ان حل عام 1818 حتى اصبحت الشركة الانكليزية صاحبة السلطة العليا بسيطرتها المباشرة على وادي الكنج حتى دلهي ومقاطعة ((المارثا)) باقليم الدكن والمنطقة الساحلية المطلة على البحر العربي والمناطق الساحلية الضيقة الممتدة من البنغال الى الجنوب [26] .

ويشير ((جاي ونت)) الى ان ((الامبراطورية البريطانية في الهند كانت تقوم , كمثيلتها الامبراطورية الاسبانية في القارة الاميركية , على القوة البحرية . فقد كان الاسطول البريطاني يعمل على مساحة شاسعة من قاعدته . وقد مكن للامبراطورية البريطانية من ذلك عوامل عدة منها ان الهند كانت متخلفة من الناحية الفنية ولاسيما من النواحي العسكرية . والعامل الاخر هو نظامها الاجتماعي الذي كان اقل فاعلية اذاما قيس بالنظام الغربي ولذلك لم يقوم على مجابهة الضغط الخارجي , ولم يستطع ان يستجمع قواه بعد الصدمة التي اصابته)) [27] .

اقل فاعلية اذا ماقيس بالنظام الغربي ولذلك لم يقوعلى مجابهة الضغط الخارجي, ولم يستطع ان يستجمع قواه بعد الصدمة التي اصابته)) [27] .

اثار التقارب الروسي – الفرنسي مخاوف بريطانيا ولاسيما انها ادركت ان التحالف الروسي الفرنسي كان موجها ضد المصالح البريطانية في الهند في الوقت الذي كانت اوضاع افغانستان السياسية غير مستقرة وفي بعض الحالات كان الافغان يشكلون تهديدا للممتلكات البريطانية في الهند عند ظهور امير قوي في كابل . فعندما تربع زمان شاه على العرش وتخلص من منافسة اخويه همايون حاكم قندهار ومحمود حاكم هرات اتجه بغزواته الى جنوب الهند واثار بذلك مخاوف السلطات الحاكمة البريطانية التي اوفدت بعثة برئاسة مالكولم الى بلاد فارس لغرض اقناع حاكمها فتح على شاه لمهاجمة افغانستان , واجبار زمان شاه على الانسحاب من الهند . وتمكنت البعثة من تحقيق اهدافها فلم يكتف الشاه بمد محمود شقيق زمان شاه حاكم هرات اللاجئ الى فارس بالمال بل امده بجيش فارسي تمكن بواسطته من الاستيلاء على قندهار ثم كابل عام 1801 . وكانت ايران بدورها ترغب في تعزيز نفوذها في بعض الاقاليم الافغانية وخصوصا هرات [28].

ارتبطت اول قضية احتكت بريطانية بها مع افغانستان بشكل مباشر بموضوع عقد المعاهدة الفرنسية – الروسية لعام 1807 . والمعروفة باسم معاهدة ((تلست)) . فقد اتفق نابليون مع القيصر الروسي الاسكندر الاول على غزو الهند غزوا مشتركاً . وفي ضوء هذا التطور لم يكن ارسال السلطات البريطانية في الهند بعثة الى شاه شجاع بالحدث المفاجئ . فمع وصول البعثة التي ترأسها ((موتسارت القنستون)) الى ((بيشاور)) جرت مباحثات بين الطرفين لوضع خطة للدفاع المشترك اسفرت عن توقيع اتفاقية عام 1809 تعهد فيها شاه شجاع بالحيلولة دون مرور اية جيوش اجنبية عبر الاراضي الافغانية [29] . اضطرت البعثة البريطانية الى الانسحاب على اثر تجديد الصراع بين الامراء الافغان للاستحواذ على السلطة . فقد تمكن شقيق شاه شجاع محمود ميرزا بالتعاون مع الوزير فتح خان من اعادة الاستيلاء على كابل التي انسحبت منها قوات شجاع عند ذاك بادر افراد البعثة البريطانيون الى الانسحاب فيما حاول شاه شجاع استرداد عرشه ولكن لم يوفق في مسعاه مما اضطر الى الفرار نحو لاهو طالبا المساعدة من حاكم البنجاب ((رانجي سنغ)) الذي كان قد استولى على البنجاب . وعلى الرغم من الوعود التي اعطاها ((سنغ)) لشجاع الاانه لم يف بها فاضطر الاخير الى طلب اللجوء للبريطانيين الذين قرروا الاحتفاظ به لاستغلاله عند الحاجة كما سنلاحظ فيما بعد [30] .

بعد عودة محمود شاه للحكم للمرة الثانية (1809 –1818 م) ظهر المجال من جديد امام فتح خان من قبيلة الباركزائي (التي تقلدت منصب الوزارة منذ قيام المملكة الافغانية) للحصول على النفوذ والقوة . فقد تولى فتح خان الوزارة فيما تولى اخوه دوست محمد منصباً رفيعاً , واصبح محمد اعظم وهوشقيق ثانٍ لفتح خان واليا على كشمير والاخ الثالث ((كوهندل)) واليا على قندهار

وبالتاكيد فان حصول هذه الاسرة على النفوذ والمناصب الرفيعة اثار حفيظة ((كامران)) اكبر ابناء محمود شاه الذي انتهز فرصة نشوب الحرب مع الفرس في هرات عام 1816 للقبض على الوزير ثم قتله بموافقة محمود شاه [31] .

ومع ذلك كان الافغان يكنون لفتح خان كل التقدير والاعجاب طيلة الفترة التي سبقت مقتله لذا لم يجد اشقاء دوست محمد صعوبة في تجهيز جيش كبير استطاعو بواسطته الحاق الهزيمة بقوات محمود شاه عام 1818 قرب كابل .

تردت اوضاع افغانستان اكثر في عهد دوست محمد الذي اعلن نفسه اميراً في العاصمة كابل عام 1823 . فقد تقاسم ابناء الباركزائي حكم البلاد بينهم فحكم سردار سلطان محمد شفيق دوست محمد . بيشاور فيها حكم ايوب وسلطان علي مدنا افغانية اخرى مما ادى الى انعدام الوحدة السياسية للبلاد . وغياب السلطة المركزية الضرورية لاستقرار الاوضاع وتبعا لذلك استغلت القوى الطامعة هذا الواقع الى اقصى حد للاستحواذ على مكاسب اقليمية وكان حاكم بخاري السباق في ذلك فقد استحوذ على مدينة بلخ .

اما السيخ فقد استولوا على مناطق ماوراء نهر الاندس . وسقطت كشمير وبيشاور في ايديهم عام 1834 . واستقلت مقاطعتا السند وبلوجستان ولم يبق تحت حكم دوست محمد سوى غزنة وكابل وجلال اباد [32] . لكن بالمقابل فان انكماش سلطة دوست محمد تحول الى عامل قوي ساعد على تعزيز سلطة الامير في داخل افغانستان , فما ان اعلن نفسه اميرا على البلاد حتى قرر استعادة بيشاور من السيخ الا انه اضطر الى التراجع بدون قتال [33] .

اولى البريطانيون , في اطار حساباتهم ونفوذهم في المنطقة , افغانستان جانبا كبيرا من اهتماماتهم . ومع احكام سيطرة بريطانيا على الهند , ازداد اهتمام الاوساط الحاكمة البريطانية بكل من ايران وافغانستان . وقد تركزت جهودهم ضمان بقاء افغانستان ضعيفة وغير قادرة على تهديد ممتلكاتهم في الهند . وضمن السياق ذاته وجدت الحكومة البريطانية من المناسب ان تعقد اتفاقا خاصا مع ايران لمساعدتها ضد امير

افغانستان ((زمان شاه)) الذي حاول توجيه جيشه نحو الهند لغزوها. واسفرت مساعي البريطانيين بتوقيعهم معاهدة مع فتح علي شاه حاكم ايران عرفت بمعاهدة طهران عام 1814 تعهدت بموجبها ايران تقديم المساعدة العسكرية للسلطات البريطانية في حالة هجوم الافغان على الهند [34] .

لم يكن التعاون الايراني –البريطاني في هذا المجال امرا غير متوقع بل اكثر من ذلك ان ايران ارادت التوسع على حساب جارتها بمحاولة الاستيلاء على هرات وقندهار الا انها لم تنجح في مسعاها مع ان هرات اصبحت مقاطعة تحت سلطة حاكم مستقل في عام 1833 بسبب انشغال امير افغانستان بالحرب ضد امير البنجاب [35] .

كان بالامكان ان تجلب معاهدة طهران بعض الطمأنينة للسلطات البريطانية في الهند , وتقلل من مخاوفها تجاه محاولات الامير الافغاني لاستعادة بعض المقاطعات التي سلخت منه لولا ان اهتمام روسيا بالمنطقة لم يكن اقل من اهتمام بريطانيا في شيء بل اننا و في اغلب الظن , لانتجاوز الحقيقة اذا اكدنا ان امر المنطقة كان يهم بطر سبورغ اكثر من لندن ذلك لان روسيا غدت منذ اواخر العقد الثالث من القرن التاسع عشر تشترك مع ايران بحدود تقدر بأكثر من (2500) كم وهي تعد اطول حدود لروسيا الشاسعة المساحة مع دولة مجاورة بعد الصين [36] . فعلى اثر هزيمة ايران في حربين مع روسيا[37] حاولت ايران تجاوز الاثار السلبية التي تركتها بنود معاهدتي ((كلستان)) و((تركمانجاي)) على اوضاعها السياسية والاقتصادية والاجتماعية استغلال تشابك العلاقات الدولية , ومحاولات بريطانية وروسيا تكريس مجمل علاقاتهما بها لخدمة مصالحهما الحيوية . ومما له مغزاه بهذا الخصوص وصول بعثة روسية الى كابل عام 1837 برئاسة فتيسكوفيج Vitkevich كان من اهم اغراضها اقناع امير افغانستان بالتنازل عن هرات لايران مقابل مساعدته ضد قبائل السيخ , وتمكينه من استعادة بيشاور, والانضمام الى التحالف المعقود بين ايران وقندهار , ومؤكد له ان التحالف سيكون راسخاً طالما ضمنته الحكومة القيصرية .وكان الشاه الايراني قد صادق على اتفاقية التحالف , كما تعهد السفير الروسي في طهران ((simonich)) ((سيمونج)) بالعمل على حث حكومته لضمانها [38] . وفي الوقت نفسه كانت بعثة بريطانية برئاسة ((الكسندر بيرنز)) تجري اتصالات مع الامير الافغاني لحثه على وقف القتال مع امير البنجاب على ان ترد له مقاطعة بيشاور التي سبق ان استولى عليها السيخ . وبالرغم من موافقة افغانستان على مقترحات البعثة البريطانية الا ان مماطلة بريطانيا في تنفيذ مقترحات مبعوثها دفعت

الامير الى طلب المساعدة من روسيا لمواجهة قبائل السيخ , وتمكينه من استعادة المقاطعة [39] .

اثار التوجه الافغاني الجديد نحو روسيا مخاوف الاوساط الحاكمة البريطانية في الهند من مخططات روسيا في تثبيت مواقعها في ايران وتحريضها لطهران لمهاجمة هرات واحتلالها .. فقد كانت الحكومة البريطانية تتابع بدقة كل ما يتعلق بالعلاقات بين طهران وبطر سبورج في اطار الصراع البريطاني – الروسي للاستحواذ على النفوذ في المنطقة ذلك الصراع الذي دخل مرحلة جديدة مع وقوع معظم بلاد الهند تحت سلطة شركة الهند البريطانية .

ولكون التحرك الروسي البريطاني في ايران وافغانستان تحكمه طبيعة ومسار العلاقات الدولية سرعان ماتبدل الموقف الروسي من بعثة ((فيسكوفيج)) , ولم تعد احسن مصيراً من بعثة بيرنز البريطانية . فقد نبذت روسيا سياستها السابقة الراسية الى خلق العراقيل بوجه المصالح البريطانية فتنكرت الجهود بعثتها في كابل بعد ان عقدت روسيا وبريطانيا والنمسا وبروسيا مع الدولة العثمانية معاهدة لندن عام 1840 لحل النزاع العثماني– المصري [40] .

الفصل الثاني

التدخل العسكري البريطاني في افغانستان

الحرب البريطانية – الافغانية الاولى 1839 – 1842

تحول فشل البعثة البريطانية برئاسة بيرنز الى السبب المباشر في صدور قرار من اللورد اوكلاند نائب الملك في الهند بشن الحرب على افغانستان والتي عجل في امرها تحريض روسيا لايران بمهاجمة هرات التي هي في نظر البريطانيين مفتاح مع افغانستان والهند , وميل الامير دوست محمد الى التفاهم مع الروس [41] . وفي كل الاحوال كان البريطانيون يخططون من اجل السيطرة على افغانستان مستغلين الصراع على العرش بين افراد البيت السادوزائي والباركزائي وذلك بتاييد مطالبة شاه شجاع بالعرش [42].

عملت حكومة الهند البريطانية على اضعاف افغانستان بكل الطرق , فهي لم تكتف بتاييد شاه شجاع في مساعيه لاستعادة العرش بل شجعت من جانب اخر السيخ على تحالفهم معه مقابل تنازله عن الاراضي الافغانية التي كانت بحوزتهم , واطلق على هذه السياسة اسم ((سياسة السير الى الامام)) .

وتحقيقا لهذه السياسة عقدت حكومة الهند معاهدة في الخامس والعشرين من حزيران 1838 مع شاه شجاع ورانجيت سنغ زعيم السيخ تضمنت العمل المشترك من اجل اعادة شاه شجاع الى العرش الافغاني مقابل تنازله عن الاراضي الواقعة على جانبي نهر السند للسيخ , والتعاون العسكري فيما بينهما في حالة التعرض للاخطار الخارجية . كما تضمنت المعاهدة على تخلي شاه شجاع عن مطالبة السيخ بالضرائب . وتتعهد حكومة الهند بدفع مبلغ من المال لشجاع [43] .

ومن جانب اخر حاولت السلطات البريطانية الضغط على شاه ايران من اجل رفع الحصار عن هرات في الوقت الذي تولى فيه ضابط بريطاني هو بوتنجر ((Eldred pottinger)) مهمة الدفاع عن المدينة وقد اسفرت هذه التطورات عن حدوث ازمة بلغت غايتها حينما رات بريطانيا ان ليس امامها من خيار سوى اللجوء الى الحل العسكري لحماية المصالح البريطانية في الهند بتامين افغانستان , فأصدر نائب الملك اوكلاند بياناً في تشرين الاول 1838 اعتبر فيه احتلال القوات البريطانية لافغانستان ضروريا لتامين الحدود الغربية للهند , واسقاط حكم البارکزائي لمساندتهم للروس والشاه الفاجاري , واقامة حكومة فيها تكون حليفة لبريطانية ولمنع ((البشتون)) من تكرار غزواتهم للاراضي الهندية [44] .

بدأت استعدادت الغزو البريطاني لافغانستان في كانون الاول عام 1838 بتجمع جيش بريطاني في ((فيروزبور)) قوامه 27 الف جندي . وفي الوقت نفسه تم امداد شاه شجاع بالاموال لغرض اعداد جيش اخر . ولما رفض السيخ مرور القوات البريطانية عبر اراضيهم سلكت الحملة طريقا دائريا عبر ممر ((بولان)) لمهاجمة قندهار .

وفي نيسان 1839 تمكنت القوات البريطانية التي كانت بقيادة ((جون كين)) وقوات شجاع التي كانت تقدر ب13 الف مقاتل من احتلال قندهار بعد مقاومة شديدة في الخامس والعشرين من نيسان عام 1839 , وتم تتويج شاه شجاع ملكاً على افغانستان في مسجد قندهار على مقربة من مقبرة احمد شاه [45] .

استمر تقدم القوات البريطانية بعد قندهار نحو غزنة التي حصنها دوست محمد كما حصن العاصمة كابل . لكن القوات البريطانية استطاعت ان تخترق حصن غزنة بفعل امتلاكها للمدفعية الحديثة الامر الذي اجبر قوات دوست محمد للانسحاب منها ثم التفاوض مع شاه شجاع والبريطانيين عرض خلالها مقترحات [46] ماكانت لتتفق مع رغبات شاه شجاع ولا البريطانيين الذين عرضوا على الامير الاستسلام واللجوء الى

الهند . وقد رفض الاخير الاستجابة للطلب البريطاني , وقرر الانسحاب الى جبال هندوكش ومنها الى بخاري حيث اعتقل بعد ان اخفق في الحصول على المساعدة الروسية, وتخلى عنه اتباعه مما سهل امر دخول القوات البريطانية العاصمة كابل في السابع من اب 1839 , واعادة شاه شجاع للعرش مرة اخرى [47] تفاقم الوضع الاقتصادي والسياسي الداخلي لافغانستان اكثر في ظل الاحتلال البريطاني . فقد استاثر البريطانيون بالسلطة الفعلية في البلاد مما اثار الشعور الوطني والديني لدى الافغان . كما ان نظام الضرائب الذ فرضه شجاع على السكان اثار هو الاخر موجة استياء شديدة لديهم دفعتهم الى التمرد والمطالبة بعودة الامير المخلوع . وفي هذا الوقت تمكن دوست محمد من الفرار من سجنه ليقود حرباً جديدة شجعه على ذلك تقديم قبائل الاوزبك مساعدتها له في حربه ضد البريطانيين [48].

وفي الثاني من تشرين الثاني عام 1840 دارت معركة ((بافاندارش)) اسفرت عن استسلام دوست محمد وارساله هو وعائلته الى الهند ليتم تحديد اقامته في كلتكا [49]. ولكن سرعان مانشطت حركة المقاومة هذا الوجود البريطاني , والسياسة المالية التي اتبعتها السلطات البريطانية لتلافي العجز في ميزانية حكومة الهند البريطانية . ففي قندهار وممر خيبر نشبت ثورة في عام 1841 امتدت الى العاصمة كابل اسهمت فيها فئات واسعة من الافغان الامر الذي دفع البريطانيين الى التفاوض مع ((اكبر خان بن دوست محمد)) لغرض انسحاب القوات البريطانية من افغانستان لكن اصرار الممثل السياسي البريطاني ((وليم ماكنجتين)) على عدم مغادرة كابل اوقف المفاوضات مما عرضه الى الاغتيال على يد الثوار الافغان [50] .

ساء وضع الجيش البريطاني في افغانستان بعد مقتل الممثل السياسي . فقد استولى الثوار على الخزانة الملكية , وعلى الثكنات البريطانية المجاورة للعاصمة وعلى مخازن التموين , وحاصروا منزل القائد البريطاني ((الكسندر بيرنز)) الذي تعرض هو الاخر الى الاغتيال . وازاء هذا الموقف الحرج اضطرت بريطانيا الى التفاوض مع الثوار الذين انتخبوا في الخامس والعشرين من تشرين الثاني 1841 ((نواب محمد زمان))[51] ملكا على البلاد .

وتمخضت المفاوضات عن عقد اتفاقية في كانون الاول من العام نفسه على انسحاب القوات البريطانية المتمركزة في جلال اباد الى الحدود الهندية قبل وصول القوات الحكومية الى المدينة على ان يقوم مندوبون عن الزعماء الافغان بادارة الاراضي

التي تخليها القوات المنسحبة على ان يتم تزويدها بالمؤونة والحماية . وتتعهد بريطانيا من جانبها ان تقدم المساعدة العسكرية للافغان ضد الاخطار الاجنبية , وتترك الاسلحة الزائدة عن حاجتها للقوات الافغانية [52].

ولكن حدث في طريق انسحاب القوات البريطانية مالم يكن في الحسبان , فما ان بدات بالانسحاب من كابل الى جلال اباد في السادس من كانون الثاني حتى تعرضت الى هجمات القبائل الافغانية وكانت القوات البريطانية تباد عن اخرها من خلال مرورها بممر((خرد كابل))

وكان يقود الهجوم الافغاني محمد اكبر خان بن دوست محمد , فلم يصل الى جلال اباد في الثالث عشر من كانون الثاني 1842 من الجيش البريطاني الذي كان يبلغ تعداده 4500 جندي سوى شخص واحد [53] .

لم يكن الانسحاب البريطاني سوى اجراء مؤقت لحين تهيئة الاوضاع الداخلية في افغانستان , والاستعداد من جديد لاعادة السيطرة البريطانية , لاسيما ان القوات البريطانية كانت لاتزال تحتفظ بقندهار وجلال اباد . وهذا ماحصل فعلاً ففي اذار 1842 قرر الحاكم العام في الهند اللورد اوكلاند ارسال قوات بريطانية – سيخية الى بيشاور بقيادة السير وليم نوت والجنرال جورج بالوك تمكنت من الوصول الى جلال اباد وقندهار في نيسان وايار من العام نفسه . في حين دارت معركة كبيرة بالقرب من كابل اسفرت عن احتلال العاصمة الافغانية في الخامس عشر من ايلول فيما تم احتلال غزنة قبل ذلك في السادس من الشهر نفسه عام 1842 [54] .

ولكن سرعان ما طرأ في الساحة السياسية البريطانية رافق تشكيل حكومة المحافظين في ايلول 1842 , وتعيين اللورد أبردين وزيرا للخارجية ففي تلك الحقبة حل التعاون بين بريطانيا وروسيا بشأن ايران وافغانستان على اساس المنفعة المتبادلة والمصالح المشتركة . فقد ادركت بريطانيا ان بقاء قواتها في افغانستان متعذر , وان تكاليف تلك القوات والخسائر التي تكبدها , وحالة الفوضى والخلاف بين زعماء الافغان تحولت الى عبئ ثقيل على كاهلها , وتبعا لذلك قررت بريطانيا الاحتفاظ بنفوذها في افغانستان عبر اقامة علاقات متميزة مع السلطات الافغانية , وانتهاج سياسة قائمة على اساس المحافظة على استقلال الاقطار الواقعة بين مناطق النفوذ البريطانية والروسية , واحلال التعاون مع روسيا في اسيا الوسطى بدلا من المجابهة معها [55] .

بدأت القوات البريطانية بالانسحاب من كابل في تشرين الاول عام 1842 , وعاد دوست محمد الى العرش , واستطاع ان يبسط سلطته على اغلب المناطق الافغانية بين اعوام 1850 –1863 قبيل وفاته 1863 .

الحرب البريطانية – الافغانية الثانية 1878 –1881

اعقب وفاة دوست محمد قيام حرب اهلية بسبب الصراع بين ابنائه للاستحواذ على العرش الذي تربع عليه شير علي خان بوصية من والده متجاهلاً اخوته الكبار , واستمرت الحرب الاهلية خمس سنوات 1863–1868 . تمكن شير علي اخيراً من هزيمتهم , وتدعيم سلطته بمعونة ولده محمد يعقوب حاكم هرات ..

سارعت حكومة الهند البريطانية بالاعتراف بالامير الجديد خلال اللقاء الذي جمعه مع نائب الملك اللورد مايو ((Mayo)) في امبالا عام 1869 الا ان الامير خرج من المقابلة مستاءاً من عدم تلبية مطلبه بالحصول على وعد من الحكومة البريطانية باقناع الدول الاخرى بتاييدها له , كما كان متذمرا من محاولة البريطانيين التدخل لاطلاق سراح ابنه محمد يعقوب الذي كان قد احتجزه بسبب اعتراضه على سياسته الادارية [56] . الا ان ذلك وحده ماكان يكفي لتغيير سياسة بريطانيا تجاه افغانستان والتي ظلت الى ذلك الحين تقوم على اساس ان أي ((عملية جديدة خلف نهر السند او في الخليج , في ظل الظروف الحالية, ستكون اجراء غير حكيم)) حسب قول اللورد ابردين وزير الخارجية البريطاني [57] ، فعلى اثر قيام روسيا بضم الامارات الاسلامية في اسيا الوسطى الواقعة على الضفة اليمنى لنهر امودايا (خيوة وبخارى وخوقند ومرو) كما ضمنت طشقند وسمر قند وقامت بتحصين سواحل بحر قزوين [58] , تجددت مخاوف بريطانيا من التوسع الروسي الذي يهدد الممتلكات البريطانية في الهند , فان اقتراب الروس من امودايا كان يعني احداث ثغرة خطيرة للغاية فيما يتعلق بمخططات الانكليز بالنسبة لمنطقة حساسة لها ونعني افغانستان وايران اللتان تمثلان في نظرهم خط الدفاع عن الهند . وفي مثل تلك الظروف كان من الطبيعي جداً ان تولي بريطانيا الشرق اهتماما اكثر بعد عقد معاهدة باريس التي انهت حرب القرم في اذار 1856 [59] . فمن جهة ايران كان هناك شبه اجماع بين الساسة البريطانيين على ضرورة اتخاذ موقف حازم من السلطات الايرانية حتى لاتتجاوز مستقبلاً التزاماتها مع بريطانيا . ويأتي موضوع هرات ومنع ايران من الاستحواذ عليها في مقدمة تلك الالتزامات لاسيما وان روسيا ستحاول دون شك تعويض خسارتها في حرب القرم بايجاد خيار جديد لها في اسيا . وكان الاعتقاد سائداً في الاوساط

السياسية البريطانية بان روسيا تقف بشكل او اخر وراء الاصرار الايراني للاستيلاء على هرات , وانها تريد ان تتخذ من ايران الاداة التي تطمح من خلالها الوصول الى الهند [60]

ومن جانب اخر سعت بريطانيا الى طرح فكرة تكوين تحالف اسلامي تتزعمه الدولة العثمانية للوقوف بوجه التوسع الروسي في اواسط اسيا . ولتحقيق هذا الهدف طلبت بريطانيا من السلطان العثماني الاتصال بالاقطار الاسلامية لتنفيذه هذه الفكرة , فارسلت الدولة العثمانية بعثة الى كابل في السادس عشر من اب 1878 قابلت الامير الافغاني شير على لغرض اقناعه بفكرة اقامة التحالف الاسلامي , وتحريض الامارات الاسلامية للثورة ضد روسيا الا ان البعثة لم تنجح في اقناعها بهدفها . ويبدو ان الرفض الافغاني سببه استياء الامير من قرار لجنة التحكيم التي تشكلت للنظر في تقسيم مقاطعة سجستان عام 1873 , وتوصيتها بمنح ايران جزءا كبيرا من اخصب الاراضي في المقاطعة . وكان قد ترأس اللجنة احد الضباط البريطانيين [61] .

اسهمت هذه العوامل في توتر العلاقة بين حكومة الهند البريطانية والامير شير على الذي ادرك ان ضم حكومة الهند لمقاطعة ((سيوتة)) (كوتا) توطئة لتقدم مقبل نحو قندهار لذا كان امرا متوقعا ان ترسل الحكومة الروسية بعثة الى كابل برئاسة القائد الروسي ((ستولينوف)) للتباحث حول وضع اتفاقية دفاعية مع افغانستان تتضمن اقامة مراكز عسكرية روسية في بعض المواقع المهمة وربط البلدين بخطوط تلغرافية , وتعيين مندوبين روس في المدن الافغانية الامور التي رفضها الامير وقرر ارسال بعثة افغانية للتباحث في المواد المقترحة [62] .

وعندما بلغت مناورات روسيا هذا الحد قرر نائب الملك في الهند اللورد ((ليتون)) ارسال بعثة بريطانية لابلاغ الامير رسميا عدم اتباع سياسة من شأنها الاضرار بالمصالح البريطانية . ومما له مغزاه ان البعثة ارادت ان تحيط الامير علما ان ملكة بريطانيا اتخذت لنفسها لقبا امبراطورياً وقد فسر الامير توجهات بريطانيا على انها تعني وضع افغانستان في منزلة المحميات الامر الذي دفعه الى رفض استقبال البعثة البريطانية. حينذاك لجأ نائب الملك الى توجه انذار الى الامير بقبول بعثة بريطانية دائمية في كابل , وامهله مدة عشرين يوماً للرد على الانذار . وفي حالة رفض قبول الانذار فان الحكومة البريطانية ستقوم باتخاذ اجراءات عسكرية ضده .

من الواضح ان البريطانين ارادو اختلاف الذرائع لشن الحرب ضد افغانستان . ففي رسالته الى اللورد ((كران بروك)) اكد نائب الملك ((ليتون)) انه ((مقتنع بان

سياسة تكوين دولة قوية ومستقلة بافغانستان لانستطيع ان نمارس عليها مطلقا أي هيمنه قد اظهرت التجارب بانها سياسة خاطئة , فلو تهيأ لنا الحرب او بموت الامير الحاضر فرصة لتفكيك دولة كابل وتمزيقها فأني ارجو مخلصا الا تضيع تلك الفرصة)) [63] .

وسرعان ماسنحت تلك الفرصة التي كان ليتون يتمناها بعد ان رفض الافغان القبول بالانذار البريطاني . فتقدم الجيش البريطاني عبر ثلاث محاور وتمكنت من احتلال جلال اباد وممر بولان ووادي خوارزم وقندهار وكابل بين كانون الاول 1878 وكانون الثاني 1879 . واظطر شير علي الى ترك العاصمة بعد ان اطلق سراح ابنه محمد يعقوب خان الذي نودي به اميرا على البلاد والذي قرر ملاقاة الجيش البريطاني المتقدم عن ((جانداماك)) والتفاوض مع البريطانيين لعقد معاهدة عرفت بمعاهدة ((جانداماك)) تنازل الامير الجديد بمقضاها عن ارضي معينة بالقرب من ممر بولان ووادي كرام . كما وافق على تواجد بعثة بريطانية دائمية في كابل , وانشاء خط تلغرافي بين وادي خوارزم وكابل مقابل قيام القوات البريطانية بالدفاع عن افغانستان في حالة تعرضها لاخطار الغزو الخارجي على ان تنسحب بعد زوال التهديد الخارجي , وان تقدم بريطانية مساعدة مالية للامير مقدارها ستون الف باون استرليني سنويا [64] .

وهكذا فان معاهدة ((جانداماك)) تحولت الى طوق ثقيل جرد افغانستان من استقلالها السياسي فيما حققت بريطانيا اهدافها الستراتيجية بالسيطرة على الممرات التي تقع على الحدود الهندية , واخضاع السياسة الخارجية لافغانستان طبقا لمصالح بريطانيا في المنطقة .

ادى الوجود البريطاني في افغانستان الى تجدد المعارضة الوطنية ضد الاحتلال بدأت بقيام الجنود الافغان بقتل افراد البعثة البريطانية التي كان يرأسها السير لويس كافتياري (sir Loais Cavagnari) الامر الذي دفع ببريطانيا الى اعادة احتلالها لكابل . وبهذا الصدد كتب ((ليتون)) الى ((بيكونز فيلد)) يشكو من ان ((نسيج السياسة التي ظل ينسج بعناية وصبر تام قد نزلت به قوة غاشمة حطمته , فغلينا الآن ان ننسج نسيجاً جديداً اخشى ان يكون اوسع مجالاً ننسجه من مواد اوهن دون ادنى ريب)) [65] .

قاد الجيش البريطاني هذه المرة ((روبرتس)) واستولى به على العاصمة الافغانية , وثم اعتقال محمد يعقوب خان ونفيه بعد ذلك الى الهند . ولكن لم يحل الاحتلال البريطاني لكابل دون قيام القبائل الافغانية بقيادة محمد خان والملا مشك عالم

بهجوم واسع على القوات البريطانية المرابطة في كابل , استطاعت ان تجبرها على الانسحاب الى قندهار .

اجبر الواقع السياسي والعسكري في افغانستان , وفراغ السلطة الحكومية الوطنية البريطانيين الى اعادة رسم سياستهم في البلاد , خصوصا انهم وجدوا انفسهم غير قادرين على ابقاء سيطرتهم العسكرية الامر الذي اقلق الاوساط الحاكمة البريطانية في الهند بصورة جدية . وفي محاولة منهم لحل مشكلة الحكم في افغانستان ظهرت فكرة تقسيم البلاد الى مقاطعات مستقلة [66] . ولكن سرعان ماتم نبذ هذه الفكرة بعد ظهور شخصية الامير عبد الرحمن خان الذي اخذ على عاتقه مهمة تنظيم المقاومة الوطنية , وبعد ان غدت القوات البريطانية عاجزة عن القيام بعمليات واسعة . وفي بريطانيا حلت وزارة الاحرار برئاسة وليم كلادستون محل وزارة المحافظين ورئيسها بنيامين دزرائيلي وسياسته الاستعمارية السابقة . وفي الهند حل اللورد ريبون محل اللورد ليتون كتائب عن الملك , ولذلك صدرت الاوامر الى القوات البريطانية بالانسحاب من افغانستان في صيف عام 1881 , ونودي بالامير عبد الرحمن اميرا على البلاد . ولم يكن الانسحاب البريطاني دون شروط مع الامير الجديد . فقد تعهد الاخير بعدم اقامة علاقات سياسية مع دولة اجنبية سوى بريطانيا وبالمقابل تعهدت بريطانيا بعدم التدخل في شؤون الحكومة الافغانية الداخلية , وان تقدم للامير المساعدات اللازمة اذا تعرضت بلاده الى الاخطار الخارجية [67] .

ومع ان حربي 1838 – 1842 و 1878 –1881 حققت مكاسب اقليمية وسياسية مهمة لبريطانيا منها الاستيلاء على ممر خيبر الذي يعد اهم نقطة ستراتيجية في افغانستان , ووادي كرام الذي يعد المنفذ الثاني للبلاد من جنوبها فضلاً عن احتلالها لمنطقة كويتا في بلوجستان الا ان ذلك لايعني وضع حد لتوجهات بريطانيا نحو افغانستان التي دخلت مرحلة جديدة قبل نهاية القرن التاسع عشر [68] .

الفصل الثالث

معاهدة عام 1905

الاتفاقية السابقة لمعاهدة عام 1905 :

يعد عهد الامير عبد الرحمن خان (1880 –1901) نقطة تحول مهمة على صعيدي السياستين الداخلية والخارجية لافغانستان في تاريخها الحديث . فقد اجرى اصلاحات كبيرة في المجال الداخلي اسهمت في تقوية الوحدة الوطنية . وكان يدرك حاجة البلاد الملحة الى جيش وطني حديث يعتمد عليه في تعزيز السلطة المركزية , ولتحقيق هذا الهدف قام بتاسيس جيش وطني تمكن بواسطته من وضع نهاية للحكومات القبلية المحلية المتفرقة , وامراء الطوائف , وبسط سيطرته على كل القبائل بما فيها قبائل البشتون القوية , كما اهتم بامور المحاكم , والارتقاء بالتعليم واصلاح نظم الادارة .

وفيما يتعلق بمسائل السياسة الخارجية فقد كان يرى ضرورة وضع حد للتوسع الروسي على حساب الاقاليم الافغانية , ولمنع التصادم بين بريطانيا , التي كانت ترى في افغانستان دولة حاجزة , وروسيا وبمبادرة من حكومة الهند البريطانية سعى الامير الى عقد اتفاق مع روسيا في العاشر من ايلول عام 1885 على تخطيط 976, 514 كيلومتر من الحدود بين افغانستان وروسيا , ولكن ظلت المنطقة واقعة بين ((دوفشي)) ونهر امودايا موضع خلاف بين البلدين والذي شمل ايضاً منطقة الاودية في الغرب , ومنطقة خوجة صالح في الشرق [69] .

ومن جانبها رغبت روسيا في تحديد الحدود الجنوبية لافغانستان للحيلولة دون قيام بريطانيا بالتوسع في الاقاليم الافغانية المحاذية للحدود مع الهند , ولهذا الغرض ارسلت حكومة الهند البريطانية ((مورتيمر دوراند)) الذي كان يشغل منصب وزير خارجية الحكومة , لتحديد الحدود الشرقية والجنوبية لافغانستان .

حقق المبعوث البريطاني , الذي وصل افغانستان في اوائل تشرين الاول عام 1893 , نجاحا ملموسا في مهمته , جسدت ستراتيجية بريطانية في المنطقة . فقد وقع دواند في الثاني عشر من تشرين الثاني معاهدة حدودية نصت بنودها على :

1- جعل جبال سليمان حداً فاصلا بين البلدين (الهند وافغانستان)

2- جعل خط الحدود الشرقي والجنوبي يمتد من واخان وسلسة جبال البامير الصغرى في الشرق الى الحدود الفارسية في الغرب [70] .

3- تخلي الامير عبد الرحمن عن سيطرته الاسمية على بلوجستان وعلى قبائل جبال سليمان

4- يتعهد الجانبان بعدم التدخل في الاراضي الواقعة وراء خط الحدود .

5- اشراف حكومة الهند على العلاقات الخارجية لافغانستان .

6- تقدم حكومة الهند اعانة سنوية مقدارها (18) لك من الروبيات [71] للحكومة الافغانية[72].

مثلت الاتفاقية الحدود مؤشراً مهما لما حققته السياسية البريطانية تجاه افغانستان في تلك المرحلة فأن الاتفاقية لم تشر الى ان خط الحدود هو حدود دولية بين الجانبين , كما انها ادت الى تقسيم القبائل البشتون الى قسمين الامر الذي تسبب , فيما بعد , مشاكل حدودية ظهرت بعد الانسحاب البريطاني من شبه القارة الهندية عام 1947 . فقد اصبح قسم من قبائل البشتون يعيش في افغانستان والقسم الاخر في شبه القارة الهندية سابقاً وباكستان حالياً وبذلك ظهر مايسمى حالياً بمشكلة ((بشتونستان)) [73] .

تولى عرش افغانستان بعد وفاة الامير عبد الرحمن في عام 1901 ابنه حبيب الله (1901 -1919) فارادت بريطانيا تجديد المعاهدة السابقة بعد ان لمست في نفس الامير الجديد عزوفها عنها , وربما اغلب الظن ان الامير حاول من جانبه استخدام موضوع تجديد المعاهدة كورقة مؤثرة لدفع البريطانيين الى زيادة مساعدتهم المالية السنوية لافغانستان وخصوصاً ان البرامج التي وضعها لتحديث البلاد التي كانت تتطلب مبالغ كبيرة من قبيل اصلاح الجهاز الاداري والسياسي وتطوير التعليم والاهتمام بالتجارة والصناعة والزراعة والامور التي ماكان لها ان تتحقق من دون الحصول على كل موارد مالية كافية تفتقر اليها افغانستان .

جاء الرد البريطاني ذكياً بدوره ففي عام 1904 ارسلت حكومة الهند وفداً الى كابل برئاسة سكرتير الخارجية ((لويس وليام دين)) لاجراء المفاوضات لتجديد المعاهدات السابقة المعقودة خلال اعوام 1880 و 1893 .

ومما ينبغي الاشارة اليه ان الحكومة البريطانية عمدت الى دمج المعاهدات السابقة مع معاهدة عام 1905 في معاهدة واحدة قامت بطبعها في لندن في العام نفسه لتشكل بمجموعها الاساس القانوني الذي تستند اليه في سياستها تجاه افغانستان .

المعاهدة البريطانية – الافغانية لعام 1905 :-

احتوت المعاهدة الجديدة التي وقعت في 21 اذار 1905 (74) على ثمانية مواد تضمنت المادة الاولى , وهي عبارة عن رسالة من السير كـرفن (مسـؤول الشـؤون الخارجية في حكومة الهند) الى الامير عبد الرحمن خان بتاريخ 14 حزيـران 1880 حملها ابراهيم خان حاكم بهادور , واحتوت الرسالة على اجوبة حكومة الهند عن اسـئلة وجهها الامير اليه . واولها سؤاله عن صلاحيات قائد القوات البريطانية في كابل فأجـاب المسؤول البريطاني ((ان القائد البريطاني لايملك الصلاحيات , وليس له الحق في التدخل في الشؤون السياسية , وان وظيفته تقتصر على توفير الحماية لافغانستان مـن اخطـار الغزو الخارجي المتمثلة بمحاولات روسيا وايران الحصول على مكاسب اقليمية وسياسية في البلاد))

واذا ماحصل فان ذلك يعني الا عتداء على امير كابل لذلك فان الحكومة البريطانية ستكون مستعدة لتقديم المساعدة له وفي هذه الحالة فأنه (أي امير كابل) يسترشد بنصائح الحكومة البريطانية فيما يتعلق بالعلاقات الخارجية [75] .

وتتابع الفقرة الاولى من هذه المادة فتشير الى ان الحكومة البريطانية ((لايمكن ان تسمح لروسيا وايران التدخل في الشؤون الداخلية لافغانستان , وانها لن تتردد في اتخـاذ الاجراءات العسكرية لمواجهة التهديدات الخارجية التي قد تتعرض لها)) . ومن جانـب اخر ترى بريطانيا ان من مصلحتها ((تجنب التدخل المباشر في هذه المنطقة الحساسـة بالنسبة لها)) لذا فأنها الزمت امير كابل ((بقبول ارشادات ونصائح حكومة الهند في كل مايتعلق بالمسائل الخارجية لافغانستان)).

اما الفقرة الثانية فقد اكدت على ضرورة ابقاء ((مقاطعة قندهار بأكملهـا تحـت ادارة حاكم مستقل باستثناء منطقة بشين (سيبي) على اساس ان هاتين المنطقتـين همـا ضمن الممتلكات البريطانية))

واكدت على عدم امكانية ((اجراء مفاوضات لتعديل هذه الفقـرة وعلـى عـدم المساس بما تم الاتفاق عليه مع الامير السابق محمد يعقوب خان فيمـا يتعلـق بترسـيم الحدود الشمالية الغربية)) .

ومن ناحية اخرى تؤكد الفقرة ان ((الحكومة البريطانية رغم تحفظاتهـا السـابقة ترحب بقيام ملكية افغانية بكل افغانستان بضمنها هرات)) . وتستدرك الفقرة ((ان هـذه

الملكية الواسعة والكاملة لايمكن ضمانها للامير او أي امير اخر من عائلته يستطيع ان يتولى حكمها)) [76].

هدف البريطانيين واضح في هذه الفقرة فهم كانوا يريدون ايجاد ثغرة كبيرة ينفذون من خلالها الى باقي اجزاء افغانستان بعد ان بدأو بتثبيت اقدامهم في مناطق حساسة منها كما مر بنا في بداية الفقرة السابقة من خلال الايماء الى الامير , بمساومة واضحة , انه لايمكنه ضمان حكم مستقل مع وجود التهديد الروسي والايراني .

تعود الفقرة الى التأكيد , لتطمين الامير , بأن الحكومة البريطانية لاتنوي التدخل في الشؤون الداخلية لافغانستان , او تعيين مقيم انكليزي في بقعة منها مع انها , أي الحكومة البريطانية , تفضل التوصل الى اتفاق بتعيين وكيل ((محمدي)) (يقصد مسلم) في كابل [77] .

وفي ختام الرسالة يعرض السير كرفن على الامير ان يعلن قبوله او رفضه لما جاء في الرسالة من دعوة الحكومة البريطانية لايجاد علاقة صداقة تربط بين الطرفين وان يكون رد الامير بشكل مذكرة رسمية يحملها المبعوث وزير زادة محمد افضل خان الذي طلب منه ان لايتاخر في استلام الجواب منه . وان الحكومة البريطانية على ثقة من ان الامير سوف يقدر اهمية بعثته [78].

جاء رد الامير عبد الرحمن خان برسالة بعثها بتاريخ 22 حزيران 1880 الى السير كرفن . وقد قررت الحكومة البريطانية ان يكون جواب الامير يمثل المادة الثانية من المعاهدة البريطانية – الافغانية ويبدو ان رد الامير على رسالة كرفن قد تم بعد يومين فقط من استلامه الرسالة المذكورة كما يبدو واضحاً من تاريخ استلامه لرسالة المسؤول البريطاني وهوالعشرين من حزيران .

يبدي الامير في رده اقراره بما تم في عهد جدة دوست محمد بشأن حدود افغانستان من خلال المعاهدة المعقودة بين بلاده والحكومة البريطانية .

وفيما يتعلق بقبول السفير ((مسلمان)) (مسلم) فأن الامير يوافق على الاحتفاظ به كمقيم , ويوافق ايضاً على استشارة الحكومة البريطانية فيما يخص بعلاقاته مع الدول الاخرى . والاهم من كل ذلك ان المادة الثانية تطرقت الى موضوع الدفاع عن افغانستان في حالة تعرضها الى هجوم خارجي الموضوع الذي يمثل المحرك الاساس لاهتمامات بريطانيا تجاه المنطقة , فقد نصت المادة على ان الامير ((يوافق على قيام بريطانيا بتقديم

المساعدة ضد أي هجوم غير مرخص (غير مبرر) وخاطئ تتعرض له افغانستان, او أي شخص يحاول امتلاك أي اقليم في افغانستان وان هذا يوافق رغبات الامير)) .

وفيما يخص اقليم هرات فقد ذكر الامير في رده ان ((هرات يتولاها ابن عمه , وانه يقره عليها مادام لايثير معارضة ضده فهو لذلك افضل من ان يتولى حكم الاقليم من قبل شخص اخر قد يثير المشاكل له)) [79] .

يبدو واضحاً ان تاكيد الامير في رده على ضرورة استقرار هرات هو انه اراد بعث الاطمئنان الكلي في نفوس البريطانيين الذين وضعوا نصب اعينهم ابقاء هذا الاقليم بعيداً عن النفوذ الايراني او الروسي بأعتباره يمثل مفتاح افغانستان البلد الذي اراده البريطانيون حاجزاً يفصل ممتلكاتهم في الهند وبين روسيا وايران .

جاء تعليق الحكومة البريطانية على جواب الامير عبد الرحمن برسالة وجهها اليه السير كرفن مؤرخة في 20 تموز 1880 ولتجد طريقها الى دهاليز الخارجية البريطانية لتحتل المادة الثالثة من مواد المعاهدة التي نحن بصددها [80] .

تضمنت المادة الثالثة من نصوص المعاهدة تأكيد الحكومة البريطانية الرسمي على لسان المسؤول البريطاني في رسالته الاهتمام البالغ بوجود ((حكومة مستقرة تحت سلطة جلالتكم (يقصد الامير عبد الرحمن) , وان الحكومة البريطانية تعترف به كأمير لكابل , وانه (أي السير كرفن) قد فوض من قبل نائب الملك والحاكم العام للهند ان يخبره ان الحكومة البريطانية ليس لديها النية في التدخل في الشؤون الداخلية للاقاليم الافغانية . وكذلك ليس لديها الرغبة في وجود مقيم في تلك الاقاليم)) . ولكن الغرض ((ادامة الصداقة والتعاون بين البلدين فأن الحكومة البريطانية , استناداً الى المعاهدة , ترى انه من المناسب تواجد المقيم البريطاني في كابل)) [81] .

يبدو مما سبق ان الحكومة البريطانية ارادت مراعاة رغبة الامير في بسط سيطرته على اقاليم افغانستان بالاغتراف به اميراً على البلاد , وتبديد مخاوفه من قيام بريطانية بتشجيع امراء اخرين للاستقلال بحكم الاقاليم الافغانية , وتقويض حكمه كما انها ارادت بموقفها هذا دفع الامير الى الوقوف بوجه اطماع الدول المجاورة لافغانستان , ومحاولاتها تحقيق مكاسب اقليمية على حساب الاراضي الافغانية وهي لذلك تعود لتؤكد للامير انها وحسب طلبه , ترغب ان تبين له افكارها ومقاصدها فيما يخص مركز حاكم كابل , وعلاقته مع القوى الاجنبية فتذكر المادة اعلاه ان ((نائب الملك وحاكم عام المجلس خولني (السير كرفن) لاوضح لك ان الحكومة البريطانية بسبب انها تعترف

بعدم شرعية التدخل بالشؤون الداخلية لافغانستان من قبل القوى الخارجية . ولكون كل من روسيا وايران قد تعهدتا بالامتناع عن التدخل في شؤون افغانستان , فمن الواضح ان سموك سوف لاتقيم علاقات سياسية مع اية قوة خارجية ماعد الحكومة البريطانية))[82] .

يظهر هنا ان تصريح الحكومة البريطانية الوارد اعلاه يستهدف تقديم مبررات للامير حتى يقتنع بان بلاده معرضة لخطر التوسع الروسي والايراني . وانها مستعدة لتقديم المساعدة , الضرورية لحمايتها من ذلك الخطر وهي لذلك كما تذكر المادة , ((سوف تجد نفسها مستعدة لتقديم المساعدة ضد تدخل اية قوة خارجية تقود الى اعتداء غير مستفز من قبل سلطة سموك . وان هذه المساعدة ستكون بمقدار واسلوب حسبما تراه الحكومة البريطانية ضرورياً)) [83] .

تشكل الفقرات السابقة الدوافع السياسية للتوجه البريطاني نحو افغانستان ان التأكيد على ((عدم التدخل في الشؤون الداخلية لافغانستان)) و((استشارة الحكومة البريطانية فيما يتعلق بمسائل العلاقات الخارجية)) وان ((الحكومة البريطانية ليس لديها النية في التدخل في شؤون افغانستان)) .

لم تكن لتعدو كونها مجرد مناورات سياسية الهدف منها سحب البساط من تحت اقدام روسيا وايران , وفرض سيادة بريطانيا على البلاد . ان احد المؤشرات المهمة بهذا الصدد هو ماجاء في المادة الرابعة من المعاهدة وهي عبارة عن رسالة من نائب الملك في الهند ((المركيز ريبون)) الى الامير عبد الرحمن مؤرخة في السادس عشر من حزيران عام 1883 [84] .

نصت المادة الرابعة على تفاصيل ماجاء في رسالة المركيز ريبون . فقد اشار المذكور الى ((المقابلة التي جرت بين الامير والسير كرفن في ((زيما)) في الحادي والثلاثين من تموز عام 1880)) . وفي المقابلة تطرق المسؤول البريطاني الى موضوع المساعدات المالية البريطانية للحكومة الافغانية . وهنا يبدو ان المسؤولين البريطانيين في الهند لم يكونوا راغبين في تقديم الدعم المالي للامير الى ما لانهاية . فقد خاطب كرفن الامير عندما لم يكن قد تربع على عرش افغانستان بعد قوله :((ان حكومة الهند تستطيع فقط ان تمنح الادارة الافغانية الاموال لسد نفقات الجيش والموظفين ونفقاتك المستعجلة ولكن مايميزك كأمير فان حكومة الهند ترغب في ان تراك قوياً . وعندما تصبح حاكما لكابل يجب ان تعتمد على مصادرك)) [85] .

حاول نائب الملك ((ريبون)) بعد ذلك اظهار اهتمامه البالغ بشؤون افغانستان بعد ان تولى منصبه في الهند , وانه لم يتوان في ابداء المساعدات بما فيها تقديم الدعم المالي للامير بعد ان كانت الادارة السابقة في الهند قد وضعت سقفاً زمنياً لتلك المساعدات فقد ذكر ((ريبون)) في رسالته ((لقد وجهت اهتمامي للحاجات التي حققها , وشعرت برغبة قوية لدى سموكم لتكوين دولة قوية وصديقة تحت رعاية سموكم في افغانستان)) وهو لهذا كان قد قم لسموه ((من وقت لاخر مبالغ من المال والاسلحة , فضلاً عن تخصيص بعض اللكات [86] في السنة لاسناد اللاجئين والموقوفين الموجودين في افغانستان)) . ولا ينفي تأكيده على ان ذلك ((بالاعتبار لسموك خطر لسلطتك)) .

يعود نائب الملك الى تطمين الامير بان ((الهند لاتسعى للتدخل في الشؤون الداخلية لافغانستان , واحترامها لسيادة واستقلال القرار الافغاني ولاسيما المتعلق بالامور الداخلية والمالية الافغانية)).

وهنا يضرب نائب الملك على الوتر الحساس بالنسبة للمصالح البريطانية في المنطقة عندما يؤكد على وجوب ان ((ترى الهند انها تجاوز منطقة صديقة وحليفة , وفي هذه الحالة فأنه يرى ان تنظم افغانستان ماليتها , وتحمل حملها بما يتوافق مع خيرة شعوبها [87] .

وبنفس الدافع يتطرق نائب الملك الى ماسبق وان تم الاتفاق عليه بين سكرتير الامور الخارجية في حكومة الهند ((كرفن)) والامير في العشرين من تموز عام 1880, ورسالته في 22 شباط 1883 . فقد اكد نائب الملك على ((تمسك الحكومة البريطانية يمنع أي قوة اجنبية عن التدخل بالشؤون الافغانية , وحرصها على تقديم المساعدات الضرورية للامير في حالة حصول اعتداء غير مستفز)) على مملكته المستقلة . وانها (أي الحكومة البريطانية) تحرص على تقديم النصيحة له فيما يخص العلاقات الخارجية الافغانية)) [88] .

ان تأكيد نائب الملك على النقاط الواردة في الرسائل المتبادلة بين الامير وسكرتير الامور الخارجية في حكومة الهند جاء لاضفاء طابع خاص كان من شأنه ان يبعث الارتياح والاطمئنان في نفس الامير ذلك ان التأكيد هذه المرة جاء على لسان مسؤول بريطاني رفيع المستوى في الوقت الذي كان الامير مهتم بدوره بأيجاد علاقات قوية مع حكومة الهند في اطار سياسته الرامية الى الارتكاز على قوة كبيرة منافسة لجارة

افغانستان روسيا وايران الطامعتين في ارضيها الامر الذي كانت بريطانيا تدركه , وحاولت استغلاله لمصالحها الى اقصى حد ممكن .

وكالسابق بقيت مسألة الحدود الشمالية الغربية تؤلف احدى المشكلات الرئيسية لافغانستان ففي اشارته الى تلك المسألة خاطب نائب الملك الامير قائلاً ((لقد فهمت بسبب الظرف المؤسف المتنوع ان سموك لايمكن ان تقلل , لحد الان , من اهمية حدود هرات التي لها شأن جوهري لتأمين افغانستان ,ولذلك ولضرورة استقرار امور الحدود فأن بعض المساعدة قد تكون بحاجة لها)) . اضاف نائب الملك

((ان ايمانك واخلاصك للحكومة البريطانية , وان لغة سموك تقنعني انك تدرك ان افغانستان تهتم بأدامة علاقات الصداقة مع حكومة الهند , وبأعجابي بتلك الاعتبارات لذا قررت ان اعرض عليك شخصياً كمساعدة في هذه الظروف الصعبة الحالية التي تواجهها لادارة بلدك (12) لك من الروبيات في السنة قابل للدفع شهريا ومخصصة لتدفع الى قواتك العسكرية , ولاتخاذ التدابير الاخرى المطلوبة للدفاع عن حدودك الشمالية – الغربية . ويتابع نائب الملك قائلاً ((واشعر بأني استطيع أن اثق بأطمئنان بأيمان سموك ومهارتك وقدرتك لاضافة هذه التخصيصات الى مصادرك للاهداف الحيوية كما ذكرت في اعلاه)) [89] .

تضمنت الماد ة الخامسة من المعاهدة (90) نص الاتفاقية الموقعة في كابل في الثاني عشر من تشرين الثاني عام 1893 بشأن تحديد الحدود الافغانية – الروسية تنفيذاً للاتفاقية المعقودة بين بريطانيا وروسيا لعام 1873 والتي تقرر فيها جعل نخر ((اوكسوس)) يشكل حدوداً شمالية لافغانستان من بحيرة فكتوريا (بحيرة الغابات) او ((ساريكول)) في الشرق التي تربط ((كوكجة)) مع ((اوكسوس)) . وتشير المادة الى التزام بريطانيا باتفاقها مع روسيا بالنص الاتي:

((وحيث ان الحكومة البريطانية تعتبر نفسها ملتزمة بأنجاز نصوص هذه الاتفاقية , واذا كانت الحكومة الروسية ملتزمة بالمقابل بتلك الاتفاقية فأن الامير عبد الرحمن خان امير افغانستان وتوابعها يرغب في التعبير عن صداقته للحكومة البريطانية , واستعداده لقبول نصيحتها في القضايا التي لها مساس بعلاقاته مع الدول الاجنبية . وبهذا يوافق على اخلاء كل المقاطعات التي سيطر عليها الواقعة في شمال هذا القسم ((اوكسوس)) . ومن الواضح والمفهوم ان كل المقاطعات الواقعة الى الجنوب من ((اوكسوس)) , وهي الان ليست تحت سيطرته , وسوف تسلم له بالتبادل)) [91] .

اعتبرت الاتفاقية البريطانية الروسية لعام 1873 , على مايبدو , اتفاقاً تمهيدياً بين الدولتين لغاية هذه المعاهدة , التي نحن بصدد دراسة موادها , وعلى اساس ماسبق تشير المادة الى ان ((السير هنري مورتيمر دوراند (سكرتير الخارجية في حكومة الهند) , صرح من جانب الحكومة البريطانية ان اخلاء سمو الامير للمقاطعات المذكورة الواقعة في جنوب (اوكسوس) هو جزء ضروري وهام من الصفقة . والتعهد بأتخاذ الترتيبات اللازمة مع الحكومة الروسية لتنفيذ نقل الاراضي المذكورة في شمال وجنوب ((اوكسوس)) تمت المصادقة على الاتفاقية في كابل بتاريخ الثاني عشر من تشرين الثاني عام 1893 من قبل هنري دوراند والامير عبد الرحمن خان [92] .

تضمنت المادة السادسة من المعاهدة ملحق الاتفاقية الموقعة في كابل في الثاني عشر من تشرين الثاني 1893 . واحتوت ديباجة الملحق على النص الاتي :

((حيث ان بعض الاسئلة قد اثيرت بشأن حدود افغانستان مع الهند , وحيث ان سمو الامير وحكومة الهند لديهم الرغبة في اعطاء اجوبة شافية لهذه الاسئلة بفهم صديق وبحدود ثابتة لمناطق النفوذ الخاصة بهم ,لذلك فلن يكون هناك في المستقبل اختلاف في الرأي بشأن الرعية بين الحكومات المتحالفة)) [93] .

واشارت المادة الى ان الطرفين (الامير وممثل حكومة الهند) قد اتفقاعلى ماياتي :

1- ان يسير خط الحدود الشرقية والجنوبية لاقاليم سمو الامير من ((واخان)) الى الحدود الفارسية كما هو مؤشر في الخارطة المرفقة مع هذه الاتفاقية .

2- لاتمارس حكومة الهند التدخل في الاقاليم الواقعة ماوراء هذا الخط في جانب افغانستان . وسمو الامير لايمارس التدخل في الاقاليم الواقعة خلف هذا الخط في جهة الهند .

3- توافق الحكومة البريطانية على احتفاظ الامير بمنطق ((اسمر)) والوادي الذي فوقه لغاية ((جاناك)) .

ويوافق الامير من جهة اخرى على عدم التدخل في ((سوات)) و((بيشاور)) او ((جترال)) بما فيه ((ارناواي)) او ((وادي باشكال)) . كما توافق الحكومة البريطانية على اعطائه منطقة ((بايرمال)) كما مؤشر في الخارطة المعطاة لسموه الذي ترك مطالبته بمدينة ((وزيري)) و((داوار)) . وسموه ترك ايضاً مطالبته بـ((شاخي)) .

4- ان خط الحدود سوف يطرح ويخطط بعد الان بالتفصيل حيثما كان بالعمل الـدؤوب والمشترك بين بريطانيا وافغانستان لتحقيق اهدافهما بالتفاهم المشترك بشأن الحدود التي ستثبت بأتقان كبير ممكن للخط المؤشر في الخارطة المرفقة مع الاتفاقية , اخذين بعين الاهتمام والواجب الحقوق المحلية للقرى المجاورة للحدود [94] .

5- بالاشارة الى سؤال ((جامان)) فان الامير قـد سـحب اعتراضـه علـى المعسـكر البريطاني الجديد واقر للحكومة البريطانية بحقوق شراء مياه ((سـيركاي تـايلري)) وفي هذا القسم من الحدود سوف يرسم الخط كالاتي : من قمة سلسلة خواجة عمـران قرب ((باشكوتال)) التي مـن بقايـا المقاطعـة البريطانيـة الخـط سيسـير باتجـاه ((مورغاجامان)) تاركاً اياها وعين ((شاروبو)) الى افغانسـتان ويجتـاز نصـف الطريق بين ((حصن جامان الجديد)) والمركز الافغاني المتقـدم المعـروف محليـاً ((لشكرداند)) ويمر الخط بعد ذلك مجتازاً نصف الطريق بين محطة السـكك الحديـد والهضبة المعروفة ((ميان بلداك)) ثم ينحرف جنوبا لينظم ثانية لسلسلة ((خواجـة عمران)) , ويترك مركز ((كواشا)) في افغانستان . والحكومة البريطانية سوف لن تتدخل ضمن نصف الميل من الطريق [95] .

6- مواد الاتفاقية اعلاه في محل اهتمام حكومة الهند وسو امير افغانستان وهمـا علـى قناعة تامة وراسخة بتسوية كل الخلافات الاولية في الاراء التـي يمكـن ان تحصـل بخصوصص الحدود . وكل من حكومة الهند وسمو الامير يتعهد بأن أي اختلاف فـي التفاصيل , مثل تلك , سوف ينظر فيها فيما بعد بواسطة الموظفين او الضباط المعينين لتحديد خط الحدود وتحسم بروح الصداقة لكي يزال كل ماهو محتمل في المستقبل مـن اسباب الشك , وعدم ال تفاهم بين الحكومتين [96] .

7- لغرض ايصال الامير الى قناعة تامة ورضا تجاه الحكومة البريطانية , والرغبة في رؤية افغانستان مستقلة وقوية فأن حكومة الهند سوف تبدي عدم معارضتها لشـراء واستيراد ذخائر الحرب , وسوف تمنحه المساعدة بهذا الخصوص . وفضـلاً عـن ذلك, ولاجل اعطاء دليل على شعورها بروح الصداقة لكون سمو الامير قد اشـترك في هذه المفاوضات فأن حكومة الهند تتعهد بزيادة مبلغ (6) لكـات مـن الروبيـات سنوياً تضاف الى منحة (12) لك ستمنح لسموه [97] .

توقيع هـــ.م. دورك الامير عبد الرحمن خان

كابل في 12 تشرين الثاني 1893

تاتي المادة السابعة من المعاهدة لتؤكد مرة اخرى على استعداد الحكومة البريطانية لاسناد وتقديم الدعم لامير افغانستان في حالة تعرض بلاده لاي اعتداء خارجي . وهذه المادة عبارة عن رسالة موجهة من السير ((مورتايمر دوراند)) الى الامير مؤرخة في 11 تشرين الثاني 1893 يستهلها بتذكير الامير بما سبق وان قام به السير ((ليبل كرفن)) من اعطاء ضمان من بريطانيا بحماية الامير في حالة ((الاعتداء غير المستفز)) من أي جهة على ممتلكاته ولكن الجديد في المادة ان السير ((دوراند)) نقل لسمو الامير ما مفاده ان ضمان الحكومة البريطانية له هو ضمان الزامي ويطبق في اية مقاطعة واقعة ضمن سلطة الامير . ويخاطب دوراند الامير بقوله : ((ان هذا الضمان سيكون الزامي ومطبق في أي منطقة تكون تحت سلطتك , وحسب الاتفاقية التي وقعتها معي في مسألة حدود ((اوكسوس)) [98] .

ويتناول ((دوراند)) موضوع الحدود الافغانية – الروسية قائلاً : ((في حالة وضع حدود واضحة مع روسيا , التي لم تحدد لحد الان , فان الحكومة البريطانية ترغب في ان توضح لك بان تلك الحدود مع روسيا ستكون بالمثل خالية من الشك وبالمثل امنة))[99] .

تمت اضافة المادة الثامنة الى المعاهدة لتعطي صفة الشرعية على مواد الاتفاقيات السابقة الواردة في المعاهدة موضوعة البحث , ذلك ان هذه المادة عبارة عن نص الاتفاق الموقع في كابل في الحادي والعشرين من اذار عام 1905 بين الامير حبيب الله خان الذي خلف والده على العرش عام 1901 وبين السير لويس وليام دين سكرتير الخارجية في حكومة الهند . فقد رغبت بريطانيا ان تجدد معاهدتها السابقة مع افغانستان في عهد الامير الجديد .

تبدأ المادة بالعبارة الاتية :

هو الله ذو المجد والكمال

الامير حبيب الله خان

((جلالة سراج الملة والدين الملك المستقل لدولة افغانستان واتباعه من جهة . وصاحب الشرف السيد لويس وليام دين سكرتير الخارجية لحكومة الهند , وممثل الحكومة البريطانية من جهة اخرى)).

((اقر جلالته بالموافقة على هذه الوثيقة التي تتضمن المبادئ والقضايا ذات الاهمية المساعدة بخصوص الشؤون الداخلية والخارجية , والتعهد الذي اعطاه ابي ,

ضياء الملة والدين , رحمه الله , وانار قبره , قد انجز وتصرف حسب الحكومة البريطانية وانا سوف اتصرف , واكون المتصرف , حسب الاتفاقية نفسها . واتعهد بان لااخالفها في أي مسلك او وعد .

السيد لويس وليام دين يوافق على ذلك وعلى اية اتفاقية او ميثاق كانت الحكومة البريطانية قد انجزتها وتصرفت بها مع ((الاب النبيل)) لصاحب الجلالة سراج الملة والدين صاحب السمو ضياء الملة والدين رحمه الله , بخصوص المبادئ او ذات الاهمية المساعدة في القضايا والشؤون الداخلية والخارجية . وانا صادق على ذلك واكتب ان الحكومة البريطانية سوف لن تتصرف بشكل مناقض لتلك الاتفاقيات او المواثيق بأي طريقة او في أي وقت [100] .

كتب في يوم الثلاثاء الرابع عشر من محرم الحرام سنة 1323 للهجرة الموافق لليوم الحادي والعشرون من اذار 1905 م

(ختم فارسي للامير حبيب الله خان)

هذا صحيح وقعت وختمت

الامير حبيب الله

لويس وليان دين

سكرتير الخارجية

ممثل حكومة الهند

الخاتمة

عندما انتقل العرش الى حبيب الله خان عام 1901 م كانت افغانستان قد تحولت الى شبه مستعمرة تابعة لبريطانيا منذ اكثر من نصف قرن قبل ذلك التاريخ , فأن تباين القوى الفاعلة والمؤثرة في المنطقة جعلت من افغانستان تربة صالحة للمناورات الدولية المؤثرة والمتاثرة بالاحداث الداخلية الافغانية , وتطوراتها .

ومع تعاظم قوة بريطانيا وهيمنتها على اجزاء من اسيا ولاسيما الهند , التي تحولت الى درة في التاج البريطاني , وغدت لاتستطيع ان تحيا بدونها طبقا لقول اللورد كرزن , واكثر القوى حرصا على اقامة علاقات وطيدة مع افغانستان المحاذية للهند بهدف اتخاذها مع المناطق المجاورة لها في اسيا الوسطى والخليج العربي حاجزاً امام الاطماع المحتملة للقوى المحلية والدولية في المنطقة .

من هنا اتسمت علاقة بريطانيا بافغانستان بالتذبذب المستمر فتارة كانت ودية احياناً كثيرة كانت متوترة وصلت الى حد الاعتداء العسكري , وغزو الاراضي الافغانية. ومع ذلك فان افغانستان كانت تجد نفسها وفي اوقات كثيرة ولعوامل داخلية وخارجية سبقت الاشارة اليها , اقرب الى بريطانيا من اية دولة اخرى وهذا ما يفسر لنا سلسلة المعاهدات والاتفاقيات التي تم عقدها بين الطرفين والتي تؤلف المعاهدة الاخيرة لعام 1905 نجاحاً واضحا لمساعي بريطانيا في فرض هيمنتها على شؤون افغانستان ومقدراتها وسيادتها .

الهوامش

1- د. نوري عبد الحميد العاني واخرون , تاريخ اسيا الحديث والمعاصر , بغداد , 2006 , ص134.

2-المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية , افغانستان في مواجهة الغـزو الروسـي , القـاهرة , 1982 , ص47.

3-اندر ولسن , في قلب افغانستان , تعريب عمر الدبراوي , بيروت , بدون تاريخ ,ص282 .

4-نهر اوكسوس : اونهر امودايا يجري في اقصى شمال افغانستان بالقرب من مزار الشريف

5-محمد عبد الفتاح ابراهيم , افغانستان , مصر , سنة الطبع ؟ , ص4-5 .

6-المصدر نفسه , ص5 .

7-مي فاضل مجيد الربيعي , التطورات السياسية في افغانستان 1929-1973 , رسالة دكتوراه غيـر المنشورة , كلية التربية – جامعة بغداد , 2004 , ص10 .

8-محمد هارون المجددي , افغانستان في تاريخها السياسي , القاهرة , سنة الطبع ؟ , ص88

9-تانلي لين بول , الدول الاسلامية (القسم الثاني) , تعريب محمد صبحي فرزات , دمشـق , 1974, ص618 . ويذكر ابو العينين فهمي محمد ان الفتح الاسلامي لكابل وهرات كان عام 672 م ينظر: ابو العينين فهمي محمد , افغانستان بين الامس واليوم , مصر 1969 , ص36 .

10- د.محمد صالح داود القزاز , الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الاخيـر , النجـف , 1971 , ص 214 -215 .

11-كان البتكين من الموالي الاتراك الذين كانت لهم منزلة كبيرة عنـد السـامانيين , فاسـندوا اليـه المناصب الكبيرة . وكان حاجبا في بلاط عبد الملك بن نوح السامرائي ثم عينة عاملا على مدينـة هرات (344هـ) , ثم واليا لغزنة سنة 352 هـ.

12-ستانلي لين بول , المصدر السابق , ص619 .

13-ابو العينين فهمي محمد , المصدر السابق , ص43 .

14- ستانلي لين بول , المصدر السابق , ص.698

15-لجنة دعم شعب افغانستان (بلجيكا) افغانستان بلاد الاسلام , بيروت , 1981,ص90-91.

16- ابو العينين فهمي محمد , المصدر السابق , ص.49

17-دارت المعركة بين الجيشين الافغاني والفارسي بالقرب من كلتاباد في 8 اذار 1722 انتصر فيهـا الافغان على الفرس . للتفاصيل انظر:

شاهين مكاريوس , تاريخ ايران , مصر , 1898 , ص 174-175 .

18- عبد العزيز سليمان نوار , الشعوب الاسلامية , بيروت , 1973 , ص 289 .

19- عرف فيما بعد ب((نادر شاه)) بعد اعتلائه عرش ايران , استطاع ان يلحـق الهزيمـة بجـيش اشرف شاه , الذي خلف مير محمود في الحكم , في معركة ((دامغان)) في تشرين الاول 1729. انظر:عبد الله احمد المير , افغانستان تاريخ واحداث , بيروت , 1980 , ص118-119 .

20- خلف اشرف خان مير محمود بعد وفاته عام 1725 .

21- مكاريوس , المصدر السابق . ص 196 .

22- لونكويرث ديمزوكب , افغانستان , تعريب ابراهيم خورشيد واخـــرون , بيـــروت , 1980 , ص 31؛ محمد هارون المجددي , المصدر السابق , ص88 .

23- نشبت ثورات في الهند من قبل السيخ , وسقطت السند وبعض اجزاء تركســـتان فـــي يـــد اميـــر بخاري. كما اندلعت ثورات في كشمير وفي داخل افغانستان اخذ نفوذ عشـــيرة البـــاركزائي مـــن الدورانية يتعاظم .

24- ترك تيمور شاه اربعة وعشرون ولداً دون ان يعين منهم ولياً للعهد . ينظر :
عبد الله احمد المير , المصدر السابق , ص 115-.116

25- ابو العينين فهمي محمد , المصدر السابق , ص61 .

26- ك. م بانيكار , اسيا والسيطرة الغربية , تعريب عبد العزيز توفيق جاويـــد , مصـــر ,1962 ص 106 .

27- جاي ونت,اضواء على اسيا , تعريب روفائيل جرجس ,القاهرة تاريخ الطبع ؟ص13-14

28- ابو العينين فهمي محمد , المصدر السابق , 61. وقد ظلت محاولات ايران للسيطرة على هـــرات والاحتفاظ بها لسنوات لاحقة . فقد وقعت حادثتان ؛ الاولى عام 1838 والثانية فـــي عـــام 1856 اضطرت بريطانيا على اثرها التدخل لحماية افغانستان , ينظر : سير ريـــدر بـــولارد , بريطانيـــا والشرق الاوسط من اقدم العصور حتى 1952 , تعريب حسن احمد الســـلمان , بغـــداد , 1956 , ص42 .

29- عبد الله احمد المير , المصدر السابق , ص125 . وكانت بيشاور مدينة افغانية في ذلك الوقت .

30 - ابو العينين فهمي محمد , المصدر السابق , ص62.

31- لونكويرث ديمزوكب , المصدر السابق , ص139.

32- لجنة دعم شعب افغانستان , المصدر السابق , ص92 .

33- تشير بعض الروايات الى ان زعيم السيخ استطاع ان يثير التمرد بين اتباع دوست محمد , ومنـــذ ذلك الوقت فقدت افغانستان بيشاور .

34- جرى التوقيع على المعاهدة بين لندن وطهران في 25 تشرين الاول 1814 الزمت موادها الاحدى عشر ايران بأن تلغي جميع علاقاتها من اية دولة اوربية معادية لبريطانية , وحرمتها مـــن حـــق السماح لجيش دولة ما بأستخدام اراضيها ضد الهند . وبالمقابل تعهدت بريطانيا بأن تقدم المساعدة العسكرية لايران في حالة تعرضها لاعتداء دولة اوربية . ينظر : د. كمال مظهر احمد , دراسات في تاريخ ايران الحديث والمعاصر , بغداد ,1985 , ص59 .

35- المفوضية الملكية الافغانية , المصدر السابق , ص89-90 .

36- اسعد محمد زيدان الجواري , سياسة ايران الخارجية في عهد احمـــد شـــاه , البصـــرة , 1987 , ص39 .

37- هما حرب 1804 -1813 وحرب 1826- 1828 .

38- باسم حطاب جيش الطعمة , العلاقات البريطانية – الايرانية 1798 – 1857 , رسالة دكتوراه غير منشورة , كلية الاداب – جامعة بغداد ,1992 ,ص189 .

39- المفوضية الملكية الافغانية , المصدر السابق , ص 90 . وقد طلبت البعثة البريطانية من حكومة الهند ان تعمل على رد بيشاور الى افغانستان مقابل مبلغ من المال تدفعه الى حاكم بنجاب .

40- ك. م بانيكار , المصدر السابق , ص 106 . د. هاشم التكريتي , المسألة الشرقية , المرحلة الاولى 1774-1856 , بغداد1990,ص145

41 –فريد هاليداي , افغانستان, حرب ام ثورة,تعريب د. سامي الجندي بيروت,1980,ص.14

42- عبد الله احمد المير , المصدر السابق , ص126 .

43- مي فاضل الربيعي , المصدر السابق , ص21 .

44- فريد هاليداي, المصدر السابق , ص14 .

45- حسن محمد جوهر , عبد الحميد بيومي , افغانستان , الطبعة الثانية , القاهرة ,1986 ص71 .

46- اشترط دوست محمد على شاه شجاع وحلفائه الانسحاب والتنازل عن الامارة مقابل تقلده منصب رئاسة الوزراء . الا ان هذا الشرط رفض من قبلهم .

47- ك. م بانيكار , المصدر السابق , ص 167 .

48- عبد الستار الطويلة , افغانستان,الحقيقة والمستقبل , القاهرة , 1987, ص14.

49- عبد الله احمد المير , المصدر السابق , ص127 .

50- ابو العينين فهمي محمد , المصدر السابق , ص.65

51- هو ابن عم دوست محمد.

52- باسم حطاب الطعمة , المصدر السابق , ص224 . حسن العيلة , الحرب الافغانية الاولى 1838 -1842 , الدوحة ,سنة الطبع؟ص.138

53- هو الدكتور بريدون . ينظر : لونكويرث ديمزوكب , المصدر السابق , ص146.

54- مي فاضل الربيعي , المصدر السابق , ص25 .

55- باسم حطاب الطعمة , المصدر السابق , ص224 .

56- لونكويرث ديمزوكب , المصدر السابق , ص.148

57- مقتبس من باسم حطاب الطعمة , المصدر السابق , ص224 .

58- محمد العيلة , اواسط اسيا بين الانقضاض الروسي والحذر البريطاني , الدوحة , 1986, ص.57

59- نشبت حرب القرم بين روسيا من جهة وبين الدولة العثمانية التي وقفت الى جانبها بريطانيا وفرنسا بسبب قيام روسيا باحتلال ولايتي الدانوب (مولدافيا وولاكيا) . للتفاصيل عن حرب القرم ينظر: د. هاشم التكريتي, المصدر السابق , ص146 ومابعدها .

60- تمكنت بريطانيا من منع ايران من التطلع نحو هرات , واحتلالها باجبارها على التوقيع على معاهدة باريس في اذار عام 1857 التي انهت الحرب البريطانية – الايرانية .

61- لونكويرث ديمزوكب , المصدر السابق , ص.149

62- محمد العيلة , اواسط اسيا , ص126 .
63- مقتبس من : ك. م بانيكار , المصدر السابق , ص 166-167 .
64- فريد هاليداي, المصدر السابق , ص.14
65- ك. م بانيكار , المصدر السابق , ص.167
66- المفوضية الملكية الافغانية , المصدر السابق , ص 92 .
67- عبد الله احمد المير , المصدر السابق , ص136 .
68- المفوضية الملكية الافغانية , المصدر السابق , ص 93 .
69- ابو العينين فهمي محمد , المصدر السابق , ص69.والامير عبد الرحمن حفيد دوست محمد.
70- انظر الملحق (1)خارطة افغانستان الادارية و الطبيعية .
71- يعادل (الك) ((Lac)) مائة الف روبية العملة المتداولة في الهند .
72- لونكويرث ديمزوكب , المصدر السابق , ص69.
73- ابو العينين فهمي محمد , المصدر السابق , ص69 .
74- انظر الملحق (2) صورة الغلاف للمعاهدة البريطانية – الافغانية التي قامت الحكومة البريطانية بطبعها في احدى مطابع لندن وحمل الغلاف العنوان الاتي : ((معاهدة بين الحكومة البريطانية وامير افغانستان بتاريخ 21 اذار 1905 . ونسخة من المعاهدة محفوظة في الارشيف العثماني ضمن وثائق وزارة الخارجية العثمانية تحت تصنيف (Osmanli Arsivi) (HR-SYS. 5\3\238) . وهنا يجب ان ننوه الى الخطأ الذي ورد في رسالة مي الربيعي عندما جعلت تاريخ عقد المعاهدة هو الحادي عشر من اذار . ينظر: مي فاضل الربيعي , المصدر السابق , ص32 .
75- Osmanli Arsivi , HR-SYS. 238-3-3 ,p.2 .
76- Ibid,p.2 .
77- Osmanli Arsivi ,OP.CiT,p.4 .
78- Ibid,p.4 .
79- Ibid,p.4 .
80- Ibid,p.5 .
81- Ibid,p.5 .
82- Ibid,p.5 .
83- Ibid,p.5 .
84- Ibid,p.5 .
85- Ibid,p.6 .
86- Ibid,p.6 .
87- Ibid,p.6 .
88- Ibid,p.6 .

89- Ibid,p.6 .

90- Ibid,p.7 .

91- Ibid,p.7 .

92- Ibid,p.7 .

93- Ibid,p.7 .

94- Ibid,p.8 .

95- Ibid,p.8 .

96- Ibid,p.8 .

97- Ibid,p.8 .

98- Ibid,p.9 .

99- Ibid,p.9 .

100- Ibid,p.9 .